The Role of Traditional Methods in Rural Development in the Age of Digital Advancement: A Sociological Study of the Sidi Bouzid Countryside

Dr. Nciri Lakhdhar[1]

Science Step Journal / SSJ
2025/Volume 3 - Issue 10
Doi: https://doi.org/10.5281/zenodo.17450570
To cite this article: Lakhdhar, N. (2025). The Role of Traditional Methods in Rural Development in the Age of Digital Advancement: A Sociological Study of the Sidi Bouzid. Science Step Journal, 3(10). ISSN: 3009-500X.

Abstract

This sociological study examines the everyday practices of rural inhabitants in Sidi Bouzid, who remain deeply connected to their intangible cultural heritage while striving to promote local development—an endeavor they regard as a key foundation for community progress. The research highlights how these communities have mobilized indigenous knowledge to locate groundwater reserves by inventing and employing traditional detection methods to meet their agricultural and domestic needs. Such practices include the use of olive branches, eggs, water bottles, and metal wires—techniques passed down through generations. The study seeks to understand how intangible cultural heritage contributes to rural development and to assess the perceived accuracy of dowsers or water diviners who use these traditional methods. The explanations provided by these practitioners often convince local residents of their efficacy, reinforcing their social role at a time when access to water resources has become increasingly critical. By analyzing these popular practices and beliefs, the research adopts a case study approach to evaluate their empirical foundations and explore the scientific validity of traditional water-detection methods. Ultimately, the study underscores that its primary scientific objective lies in investigating the meanings, functions, and implications of intangible cultural heritage within rural contexts—particularly amid the sweeping transformations brought about by cultural globalization.

Keywords

Rural community, intangible cultural heritage, divination, water reserves, local development

[1] Department of Sociology, Faculty of Letters and Human Sciences of Sfax, University of Sfax, Tunisia, ncirilakhdhar@gmail.com

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

دور الأساليب التقليدية في تنمية المجال الريفي زمن التطورات الالكترونية
دراسة سوسيولوجية لريف سيدي بوزيد

د. الأخضر نصيري

ملخص

يعالج هذا البحث السوسيولوجي الممارسات اليومية لسكّان الريف بجهة سيدي بوزيد فيما يتعلق بمدى تمسّكهم بالتراث الثقافي اللامادّي في تنمية مجالهم الريفي الذي يعتبر في نظرهم من بين الركائز الأساسية في مسارات التنمية المحلية، وسبل توظيفهم المعارف الأصلية في التفتيش عن مخابئ المياه الجوفية بابتكارهم طرائق تساعدهم في تحديد مواقعها قصد تلبية احتياجاتهم في ميادين مختلفة، وخصوصا في الأنشطة الزراعية، وقد تجلّى ذلك في اعتمادهم على تقنيات تقليدية متنوعة للاستدلال أو الاستنباء عن المياه الجوفية بواسطة "غصن الزيتون، والبيضة، وقارورة الماء، والأسلاك المعدنية"...الخ. وبذلك أردنا في هذا البحث السوسيولوجي معرفة أهمية اسهامات المخزون الثقافي غير المادي في تنمية المجتمعات الريفية ومدى صحة استخدام المستنبئ الأساليب الشعبية في التنقيب عن مخابئ المياه الجوفية وتحديد منابعها، والتفسيرات التي عادة ما تدفع بالأفراد إلى الاقتناع بخدماته، ورغبتهم في تعيين أمكنة المياه لهم، وتأثيرات سلوكّات المنقب في واقع التنمية المحلية في ظل ازدياد احتياجات سكّان الريف لهذه الموارد في سقي الأرض وفلحها. وقد استدعت منّا دراسة هذه السلوكّات الشعبية للأفراد، ضرورة اعتماد منهج دراسة الحالة، لتوضيح أسسها العلمية وتمحيص مدى صحة هذه الأساليب التقليدية المعتمدة في البحث عن منابع المياه. ونشير في هذا السياق إلى أنّ الأغراض العلمية لهذا البحث السوسيولوجي، تكمن أساسا في أهمية دراسة التراث الثقافي اللامادّي والبحث بتبصر فيما يزخر به من معان ودلالات في زمن يتسم بالتحولات الحاسمة في المجال الثقافي أو ما نسميه اليوم "بالعولمة الثقافية".

الكلمات المفتاحية

المجتمع الريفي، المخزون الثقافي اللامادّي، الاستنباء، مخابئ المياه، التنمية المحلية.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

مقدمة

لا يزال سكّان الريف في جهة سيدي بوزيد يعتمدون كثيرا على التراث الثقافي اللامادّي في تنمية المجال الريفي في ظل المعارف التقليدية" أو "الأصلية"، التي تعتبر إحدى الركائز المهمة في مسارات التنمية المحلية، إذ أنّها تمثل رصيدا مهما من تاريخ سكّان الوسط الريفي وثقافتهم، فهي الوعاء الذي يستمدون منه عقيدتهم وتقاليدهم وقيمهم ولغتهم وأفكارهم وممارساتهم اليومية وأسلوب حياتهم الذي يعبر عن ثقافتهم وهويتهم، وهي بذلك المكون الأساس في صياغة شخصيتهم وبلورة هويتهم المحلية.

وفي هذا الصدد يقول عبد الوهاب بوحديبة «الثقافة ذاكرة الماضي وعزيمة الحاضر ومخيلة المستقبل»[2]. وبذلك يتجسد المخزون الثقافي في جملة من المعاني السامية وكامنة في وجدان هؤلاء السكّان في الوسط الريفي ويشكل بالنسبة لهم أحد أجزاء تاريخهم وذاكرتهم الثقافية وهو أيضا من بين الوسائل الفعالة لتحقيق التنمية المستديمة والتواصل بين أجيالهم فهو يشكل بالنسبة لهم ركيزة أساسية من ركائز هويتهم الثقافية وعنوان اعتزازهم بذاتيتهم، فالتراث الثقافي اللامادّي بالنسبة لسكّان الريف ليس مجرد معالم وصروحا وآثارا فقط، بل هو أيضا، كل ما يؤثر فيهم من تعبير غير مادي ومعارف ومعتقدات وفنون شعبية.

ونشير في هذا السياق أنّ التراث الثقافي اللاّمادّي له أهمية في تعزيز التنمية المستديمة، والارتقاء بها من خلال استخدامه في تطوير عدة قطاعات اقتصادية وسياحية وصحية وبيئية واجتماعية وهذا ما سنقوم بتحليله في هذه الورقة البحثية المتعلقة بمدى تفاعلات السكّان مع بيئتهم بأساليب تقليدية متنوعة منذ القديم لتلبية احتياجاتهم اليومية من جهة، وتحسين وضعهم المعيشي من جهة أخرى.

فسلوكّات الأفراد في البحث عن مخابئ المياه مثلا، تعود إلى أكثر من ثمانية آلاف سنة مضت سعوا خلالها إلى ابتكار طرائق تساعدهم في تحديد مواقع منابع المياه الجوفية لتلبية احتياجاتهم اليومية في ميادين مختلفة وخصوصا في الحقول الزراعية. وقد استخدموا في هذا المجال تقنيات تقليدية متنوعة للتفتيش عن المياه.

ولا تزال تعتمد هذه الأدوات اليوم بكثرة في الاستدلال أو الاستنباء عن المياه الجوفيّة بواسطة "غصن الزيتون، والبيضة، وقارورة الماء، والأسلاك المعدنية"، وهي تعتبر في نظر سكّان المجتمع الريفي وسائل مهمّة وناجعة في البحث عن المياه الجوفية وفي تحديد أحواض حفر آبار المزارعين. وتؤكد بعض الدراسات العلمية أنّها ممارسات قديمة تعود إلى آلاف السنين، حيث عثر على رسوم وحفريات في كل من الصين ومصر الفرعونية ودول أوروبية وعربية عديدة، توضح استخدامها قبل اعتماد التقنيات الحديثة في تحديد أمكنة وجود المياه.

وتنتشر هذه الممارسات الشعبية اليوم في المجتمع الريفي التونسي وحرص سكّانه على التشبث بها رغم أنّهم يعيشون زمن التطورات الإلكترونية فهم دائما يبحثون عن أمهر "المستنبئين" دراية في تحديد مواقع تواجد منابع المياه الذي يعتبر في نظرهم كنز من كنوز الحياة

[2] بوحديبة عبد الوهاب، (1991)، كلمة الافتتاح، العنصر الثقافي في التنمية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، ص3.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وسرها في زمن ازدادت فيه الحاجة الى مزيد من الماء (فلح الأرض) فهو إذا مكوّن أساسيّ في حياة الموجودات الحيّة المحسوسة (الإنسان، والحيوان، والحشرات، والنبات).

ويندرج هذا البحث السوسيولوجي ضمن البحوث التي تسعى عادة إلى الاهتمام بظواهر شديدة الارتباط بواقعنا الاجتماعي مثل استخدام الطرائق التقليدية في تحديد مواقع المياه في الأرياف التي تمر بـ«تحولات كبرى في مختلف جوانب الحياة: اجتماعية واقتصادية وثقافية»[3].

وبناء على هذه المقدمة المختصرة فإنّ الأمر يستدعي منّا دراسة هذه الممارسات الشعبية، دراسة علمية بواسطة الاستعانة ببعض التقنيات البحثية (الملاحظة بالمشاركة ودون مشاركة، المقابلة) لتوضيح أسسها العلمية والتحقق من مدى صحة هذه الأساليب التقليدية المعتمدة في البحث عن منابع المياه.

وقد قسمنا محاور هذا البحث إلى العناصر التالية:

-أهداف البحث وأهميته وتساؤلاته والمنهجية المستخدمة في السياق.

-تحديد مختصر للمفاهيم.

- اسهام المخزون الثقافي اللاّمادي في تطوير تنمية الوسط الريفي.

- الأساليب الشعبية المعتمدة في البحث عن مخابئ المياه الجوفية.

- الاستنتاجات والاقتراحات.

أهداف البحث وأهميته وتساؤلاته ومنهجيته:

أ-أهداف البحث يهدف هذا البحث إلى: -إبراز الدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به التقنيات التقليدية في البحث عن المياه الجوفية انطلاقا من التفاعلات بين الأفراد في مجالهم الطبيعي ومدى اسهاماتهم في التنمية المحلية في ظل استعانتهم بالتراث الثقافي اللامادّي.

- تحليل العلاقات التفاعلية القائمة بين الأفراد الذين يعيشون في بيئة ريفيه من جهة، وتقديم تفسيرات من جهة أخرى تتعلق بالممارسات الشعبية لدى الأفراد في عديد المجالات ومن بينها مجال التنقيب عن المياه الجوفية باستخدام الأساليب التقليدية.

تـ-أهمية البحث: يعتبر الاهتمام بهذا الإرث الثقافي في مختلف المجالات، أصبح ضرورة يفرضها العصر الحديث، ولذلك لا نستغرب اليوم كثيرا من ازدياد عمل الهيئات والمنظمات الدولية، التي تهتم بالتراث والثقافة، مثل (اليونسكو) في إلحاحها الشديد، قصد إبراز

[3] Abdelwaheb Bouhdiba : Refaire la famille, Cahier du CERES, Série Psychologie n°7 décembre Tunis 1990, p 20.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الهوية الثقافية للأمم والشعوب في العالم، وذلك بإحياء وصيانة التراث الثقافي، كمصدر أساسي لبناء مستقبل حضاري أكثر أصالة وقوة، يمكن أبناء المجتمع الواحد من الاعتزاز والافتخار به نظرا لإسهاماته في التنمية المحلية.

-محاولة ترصد تحوّلات المجتمع الريفي في ضوء التنمية المحلية

ثـ -تساؤلات البحث: فيم تتمثل اسهامات المخزون الثقافي غير المادي في تنمية المجتمعات الريفية؟ وما هي سبل ذلك؟ وما مدى صحة استخدام المستنبئ الأساليب الشعبية ودقتها في التفتيش عن مخابئ المياه وتحديد منابعها؟ وما هي التفسيرات التي تدفع بالأفراد إلى الاقتناع بخدماته ورغبتهم في تعيين أمكنة المياه الجوفية لهم؟ وما هي تأثيرات ممارسات المنقب في واقع التنمية المحلية في ظل ازدياد الاحتياجات اليومية لسكّان الريف؟

ج -المنهجية المستخدمة في هذا البحث: حاولنا في بداية هذه الدراسة تجميع البيانات والمعلومات المتعلقة بالتراث الثقافي اللامادّي والأساليب التقليدية (الشعبية) المعتمدة في البحث عن مخابئ المياه بالارتكاز في هذا السياق على بعض الكتب المتخصّصة والمخطوطات، إضافة إلى الاستعانة ببعض التقنيات (الملاحظة، المقابلة). قصد تدوين (تسجيل) كل ما نسمعه من قبل أفراد عينة البحث ثم قمنا بترتيب هذه المعلومات والتمحيص فيها وتحليلها باستخدام الأسلوب الاستنتاجي ووقع اعتمادنا تقنية الملاحظة (L'observation): نظرا لأهميتها في جمع المعلومات والحقائق من الحقل الاجتماعي. وقد مكنتنا أداة المقابلة(L'interview) أيضا، من اجراء بعض مقابلات (دراسة الحالة) مع بعض المستنبئين بالجهة للتوصل إلى معلومات وبيانات تتعلق بأدوات البحث عن المياه الجوفية قديما وحديثا حسب مخيالهم الجماعي. وقد دامت فترة إجراء البحث الميداني شهرا كاملا (من 15ديسمبر2024-15 جانفي 2025).

I-تحديد مختصر لمفاهيم البحث :

أ -تعريف التراث الثقافي اللامادّي: حسب اتفاقية "اليونسكو" لسنة 2003 المتعلقة بصون التراث الثقافي اللامادّي بـ«أنّه مجموعة من الممارسات، والتصورات، وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات وما يرتبط بها من آلات، وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعدها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي»[4]. فهو يجسد الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات -وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية -التي تعتبر في نظر السكان أنّها جزءا من تراثهم الثقافي. وهو المتوارث جيلا عن جيل، يبدعه الأفراد من جديد بصورة مستمرة، بما يتفق مع بيئتهم وتفاعلاتهم مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديهم الإحساس بهويتهم والشعور باستمراريتهم، ويعزز من احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية الانسانية[5]. وتقول في هذا الخصوص نعيمة مكيد «تمارس الجماعات المحلية التراث الثقافي اللامادّي وتنقله لأسباب منها تعزيز هويتها واستمراريتها وتحقيق الرفاه الاجتماعي والسيطرة على بيئتها الطبيعية والاجتماعية»[6].

[4] منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو).

[5] أحمد على مرسي، في صون التراث الثقافي غير المادي، المطابع الأميرية،2013 ، ص119.

[6] مكيد نعيمة و(غيرها)، أهمية حماية التراث الثقافي اللامادي في تحقيق التنمية المستدامة مجلة القانون والعلوم البيئية، المجلد 2، العدد2، الجزائر 2023، ص 117.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

بـ -تعريف الريف: يعتبر المجال الريفي بأنّه المجال الزراعي والرعوي، والغابات المستعملة كمنتوجات وكل النشاطات الأخرى الموجودة في المناطق الريفية، ويضم المجال الريفي كل سكّان الأرياف من فلاحين وغيرهم[7]. ويعرف الريف "دوايت ساندرسون Dwight Sanderson "على أنّه « الصورة الرابطة والقائمة بين الأشخاص ومؤسساتهم في منطقة محلية ويعيشون فيها على الزراعة وتمثل عادة محور نشاطاتهم الجمعية »[8].

وفي هذا السياق يمكن تحديد سكان المجتمع الريفي بأنّهم مجموعة من الأفراد، تعيش في منطقة جغرافية معينة. ويوجد نسق من الروابط والعلاقات بينهم وتوجد مجموعة من القيم والمعايير وتشكل الزراعة العمل الرئيسي لهم.

ويمكن تعريفه ايضا بأنّه الدراسة العلمية للسكان الريفيين والعلاقات القائمة بينهم. وقد أوضح في هذا المجال العالم الأمريكي "لورى نلسون Lory Nelson" بأنّه "الدراسة العلمية للعلاقات الإنسانية في البيئة الريفية". فالمجتمع الريفي إذن هو المجتمع الذي يعتمد غالبية سكانه على الزراعة في معيشتهم كما أنّه يتميز بالعلاقات الوطيدة والقوية بين الأفراد[9].

تـ -تعريف الثقافة: «تعني الثقافة جملة من القيم والمفاهيم والمقاييس تؤثر في سلوك المجتمع وتصوره ونظرته إلى الحياة والكون فالعمل الثقافي يعتبر حجز الزاوية لرقي المجتمعات وازدهارها فهو عامل من عوامل التنمية والتقدم»[10]. يقول "رالف لنتون Ralph Linton " «تمثل الثقافة جملة من الأنماط السلوكية المشتركة بين أفراد المجموعة والمتوارثة عن طريق التعلم»[11]. فالثقافة إذن تعتبر المكون الأساسي لوجدان أي مجتمع وروح حضارته لكونها تعبر عن العمق التاريخي المتراكم والمتسرب في المجتمع ولأنّها المجال الأساسي الذي تتفاعل فيه القوى المعرفية والإبداعية في المستقبل وتعبر الثقافة عن الهوية والانتماء الوطني، نظرا لأنّها طاقة روحية وذهنية، ووجدانية ينشأ عنها الفرد ويتقاسمها ويتواصل بها مع أفراد مجموعته. وبعبارة أخرى فهي تمثل المخزون الجماعي من الثوابت الروحية والمادية التي يكتسبها الفرد ليندمج بها فيه.

ويقول في هذا السياق عبد الوهاب بوحديبة «إنّ الإرث الثقافي لا يمكن فصله عن مجهودات الإنسان العامة في جميع ميادين الوجود، فهو المعادلة بين عناصر الزمان والمكان، ويجاوب الأرض والسماء والإنسان، وهذا الإرث الثقافي، يحمل في طياته ما فكر فيه الإنسان وما استنبط من مقومات، ومقولات، تتعلق بالذات والغير والكون والغيب»[12].

بناء على ما تقدم فإنّ الإرث الثقافي، هو إصرار مستميت على التجذر العميق، ولكل هذه الاعتبارات، فإنّه يبقى في نظرنا دائما حيا لأنّه أصلا صراع مع الكون، وتحريك للذات، فهو جهد وإجهاد، فهو البناء الفعال والعمل المثمر مع الذات والآخرين. وبعد تعريفنا لمفهوم

---

[7] حافظ ستهم، الريف و التنمية، دراسة في تهيئة المجال الريفي، المعهد الأعلى للتربية و التكوين المستمر، تونس 1987،ص 15.

[8] محمد غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1993، ص 391.

[9] أحمد غريب محمد سيد احمد،علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1984، ص 19-20.

[10] الأخضر نصيري، حورا الثقافات مسالة حاسمة في مجتمعاتنا الحديثة،مجلة الحياة الثقافية،العدد166 السنة30 جوان 2005، ص75.

[11] Ralph Linton, Le fondement culturel, Paris, DUNOD de la personnalité, 1965. P3.

[12] عبد الوهاب بوحديبة، العنصر الثقافي في التنمية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس 1991، ص3.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الريف والثقافة يمكننا التطرق إلى تحليل جوانب دراستنا الموسومة بـ «دور الأساليب التقليدية في تنمية المجال الريفي زمن التطورات الالكترونية: دراسة سوسيولوجية لريف سيدي بوزيد».

II – اسهام التراث الثقافي اللامادّي في تنمية الوسط الريفي وتطويره :

يعتبر التراث الثقافي اللامادّي عامل مهم ومحوري في التنمية وقوة دافعة لها، وهذا ما تقوم عليه فلسفة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلو م والثقافة (اليونسكو) من خلال المحافظة على هذا التراث، والاستثمار فيه بوصفه أحد آليات التنمية المستديمة. والتراث الثقافي اللامادي يتغير ويتطور ويزداد ثراء جيلا بعد جيل، ولكن في ظل الحداثة والعولمة فإنّ كثيرا من أشكال التعبير، ومظاهر التراث الثقافي اللامادّي باتت مهددة بالاندثار، وبذلك أصبحنا بحاجة لاتخاذ تدابير من أجل أن يظل هذا التراث جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الشعبية، والهوية المحلية.

فالتراث الثقافي اللامادّي هو السجل الكامل لكل جوانب النشاط الإنساني في المجتمع من أفكار ومعتقدات وفنون شعبية وحكم وأمثال وأهازيج ... الخ. وتشكل المواقع الأثرية تلك الأعمال التي تجمع بين الإنسان والطبيعة، المبنية جزئيا، والتي تشكل فضاءات مميزة ومتجانسة بما فيه الكفاية من شأنها أن تكوّن حيزا طوبوغرافيا، ومثيرة للاهتمام بطابعها التاريخي والأثري والفني والعلمي والاجتماعي والتقني.

وممّا لا شك فيه أنّه توجد في كل المجتمعات المحلية أشياء ثمينة ينبغي ضرورة حفظها وإيصالها سالمة إلى الأجيال القادمة .وهذه الأشياء قد تكون مهمة بسبب قيمتها الاقتصادية الحالية أو المحتملة، أو لأنّها تولّد في أفراد المجتمع إحساسا وشعورا بالانتماء العميق إليه. وهذا المخزون الثقافي يتطلب جهودا فعالة من أجل صونه وحمايته. وقد تغير مصطلح "التراث الثقافي اللامادّي" في مضمونه تغيرا كبيرا في العقود الأخيرة، ويرجع ذلك جزئيا إلى الصكوك التي وضعتها اليونسكو .ولا يقتصر التراث الثقافي على المعالم التاريخية ومجموعات القطع الفنية والأثرية، وإنّما يشمل أيضا التقاليد أو أشكال التعبير الحية الموروثة من الأسلاف والتي تداولتها الأجيال الواحد تلو الآخر وصولا إلينا، مثل التقاليد الشفهية، والفنون الاستعراضية، والممارسات الاجتماعية، والطقوس، والمناسبات الاحتفالية، والمعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون، والمعارف والمهارات في إنتاج الصناعات الحرفية التقليدية.

وتجلى لنا في هذا الإطار العام أهمية دراسة دور التراث الثقافي اللامادّي في تنمية المجال الريفي على مستوى الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية زمن التحديات والفرص التي يواجهها سكّان الوسط الريفي وتطوير استراتيجيات لتحسين رفاهيتهم. بالاعتماد على التنمية السياحية لتحقيق التنمية المستديمة باعتبارها نشاط يحافظ على البيئة ويحقق التكامل الاقتصادي والاجتماعي ويرتقي بالبيئة المعمارية، وتعرَّف على أنّها التنمية التي تشبع حاجات السائحين والمجتمعات المحلية وضمان استفادة الأجيال المستقبلية، وهي التي تدير الموارد بأسلوب يحقق الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والجمالية مع الإبقاء على الوحدة الثقافية واستمرارية العمليات الإيكولوجية والتنوع البيولوجي ومقومات الحياة الأساسية.

وهذا يكون من خلال دراسة سلوك الأفراد وتفاعلاتهم، مع المحيط المادي الذي يعيشون ويعملون ويتفاعلون فيه. وكيفية تأثرهم بالبيئة الطبيعية وتفاعلهم معها.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وبذلك سيتم في هذه الدراسة التركيز أساسا على العادات الريفية العامة أي الاهتمام بملاحظة النظم الاجتماعية في الريف مثل:العادات و التقاليد والتراث ومدى صحة هذه الممارسات الشعبية في الاكتشافات المائية الجوفية من جهة، و دورها في التنمية المحلية من جهة أخرى.

خريطة جهة سيدي بوزيد[13].

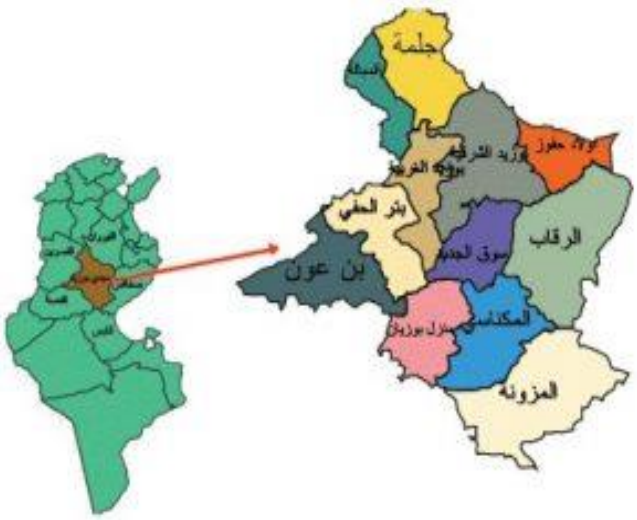

صور ة من بين صور أرياف سيدي بوزيد اليوم.

تقع جهة سيدي بوزيد في الوسط الغربي من للبلاد التونسية، تحدها شمالا ولايتا القيروان وسليانة وغربا ولاية القصرين وجنوبا ولايتا قفصة وقابس وشرقا ولاية صفاقس ويتسم مناخها بتذبذب الأمطار التّي تتراوح كمياتها عادة بين 200 و300 مم سنويا. ويشكل سكّانها في الفضاءات الريفية بـ (77.0 %) من العدد الجملي لسكانّها (459.891) نسمة سنة 2024. ويغلب عليهم طابع التشتت السكاني.

ويرتكز نشاط سكاّن المجتمع الريفي في الميدان الاقتصادي على الزراعة البعلية والسقوية كمورد رئيسي للرزق وتتمثل الزراعة في زراعة الحبوب وغراسة الأشجار المثمرة (الزيتون، اللوز) وهي العادية والأكثر انتشارا في هذه الفضاءات الريفية، إضافة إلى تربية الماشية (الأغنام والماعز).

وتتسم أرياف هذه الجهة بخصوصيات ومشاهد طبيعية خلابة تتمثل في عيون ومرتفعات يكسوها في بعض الأماكن غطاء نباتي فريد من نوعه ويوجد بهذه الأرياف عيون صخرية مثل "عين رباو" وهي عين طبيعية جارية ظلت هذه العين لسنوات طويلة مصدرا لسقي المواشي والاشجار والمزروعات وغسل الصوف والمفروشات .وبما أنّ ماءها متجدد تكون في فصل الصيف مقصدا لعديد الزوار من أبناء المنطقة والجهات المجاورة قصد السباحة.

[13] المصدر، المعهد الوطني للإحصاء، سنة2024.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

"عين رباو" الصخرية تتحول إلى مسبح للأفراد:

"عين رباو" : عين طبيعية (صخرية).

ربوة"عين رباو" .

فضاء بـ"عين رباو"للترفيه والسباحة.

السباحة في «عين رباو" في فصل الصيف.

جبال عين" رباو" الطبيعية.

تكون "عين رباو"الملجأ الوحيد للأفراد أيام "الحر"(شدة حرارة الطقس).

حديقة بوهدمة: ثروة بيئية ووجهة لمحبي الطبيعة:

محمية بوهدمة المزونة- سيدي بوزيد.

الغزلان في الحدائق الترفيهية ببوهدمة.

الحديقة الوطنية بجبل بوهدمة.

جمال بوهدمة: فضاء جذاب للزوار.

جبال بوهدمة الرائعة في عيون روادها من مختلف جهات البلاد التونسية.

روعة الجمال بهذه المحمية التاريخية أنشئت في 18 ديسمبر 1980.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

ما يمكن استنتاجه في هذا الإطار، يتمثل في ضرورة الكشف عن المخزون الثقافي في المجتمع الريفي قصد تطوير السياحة الايكولوجية به. وتعد الثقافة الريفية جانبا مهما في دراسة البيئة الريفية لأنّها تشمل العادات والتقاليد وأسلوب حياة الأفراد الذين يعيشون في المناطق الريفية.

ومن خلال دراسة سلوكّات سكان الريف، يمكننا فهم متانة الثقافة الريفية في ضوء تحليل وشرح العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تشكل حياة سكان الريف. وتعتبر هذه الثقافة في نظرهم رافدا من روافد التنمية المحلية، إذ أنّها تقوم بدور مهم في تشكيل مواقف سكّان الريف وممارساتهم المتعلقة بالتغيير الاقتصادي والاجتماعي بشكل عام. وتكمن أهمية الثقافة الريفية في علم الاجتماع في مدى قدرتها على تقديم رؤى حول حياة سكّان الريف وتجاربهم، وتوجيه السياسات والبرامج التي تعزز التنمية المحلية.

ويرى في هذا السياق"هالفاكس" «أن الإلتجاء إلى الذاكرة الجمعية يعمق الشعور بالذات فالذاكرة لا تستحضر التاريخ المكتوب فقط، بل تستحضر التاريخ الذي يعيشه الأفراد ويتناقلونه جيلا بعد جيل، ويصنعون من خلاله حركة مجتمعاتهم. وتقوم الذاكرة بدور المراقب والحارس والمنبه أوالمخزون الذي يلتجىء إليه الناس لحماية ذاتيتهم وبناء مشاريعهم»[14].

وعليه فإنّ الارتباط بين الأفراد والفضاء الذي يقطنونه لا يمثل مجرد مأوى لهم فقط، بل هو أيضا يشكل انعكاسا ثقافيا وحضاريا للأفراد، ويتجسم ذلك في مستوى مواقف الأفراد وممارستهم اليومية وعلى هذا الأساس يمكن القول إنّ استخدام الأدوات التقليدية في التنقيب عن منابع المياه، يمثل ظاهرة ثقافية تتسم بالثبوتية في ظل التطورات التكنولوجية اليوم وهي ستظل مسألة صامدة في وجه موجات التغيير العميق للمجتمعات الريفية.

III-التقنيات الشعبية المعتمدة في البحث عن مخابئ المياه الجوفية :

غصن الزيتون

البيضة

قارورة الماء

سلك من النحاس

عادة ما يؤدي المشهد الطبيعي إلى جغرافية متسلسلة تتمثل في التحكم في المياه مثل انجاز منشآت صغيرة لجمع مياه الجريان السطحي تعود لمجموعات عائلية أو شبكات ري في حوض أحد الوديان تلبي حاجيات جماعة قروية، أو شبكة يمكن أن نطلق عليها اسم «شبكة عمومية» تخطط له الجماعات المحلية وهي تشمل أحواض عدة أودية وتهدف لتأمين معيشة السكان.

وتوجد عديد التقنيات التقليدية المعتمدة في البحث عن منبع وجود المياه وهي أساليب يدوية قديمة متوارثة عن الآباء والأجداد يلجأ إليها أغلب سكّان الأوساط الريفية للبحث عن المياه الجوفية. فغصن الزيتون أو عود الرمان مثلا تعتبر من بين الطرق القديمة -

[14] Halb Wachs Maurice, Mémoire collective et mémoire historique, paris PUF 1950, p 35 – 39.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

الجديدة للبحث عن منابع المياه، ويعد المنقب في هذه الوضعية عصا تتضمن حرف "Y"، يمسكها بكلتا يديه، ويرفعها إلى الأعلى، ثم يتجول بها في الفضاء المختار ذهابا وإيابا، وعند مرور المستنبيء فوق منبع الماء، تنجذب العصا نحو الأسفل. وفي هذه الحالة يؤكد المستنبيء على وجود الماء وعمق غزارته تحت تلك النقطة ويحدد بغصن الزيتون عمق المياه الباطنية حيث يبدأ هذا الغصن بالارتجاف التدريجي كلما اقترب المنقب من موضع المياه في مساحة مربعة تصل إلى مترين وهو قادر على اكتشاف المياه الجوفية حتى في حال وصل عمقها إلى أكثر من مئة متر ولهذا فإنّ الأعراف الشعبية تؤكد أنّ غصن الزيتون لا يخطئ أبدا. وقد استأنس سكّان الأرياف منذ فترة طويلة وتحت ضغط الحاجة الحياتية على الاستعانة بالخبرات التقليدية للكشف عن المياه الجوفية باستخدام غصن الزيتون.

وبذلك فإنّ هذه الظاهرة صحيحة نسبيا وتؤمن التنقيب عن الماء بأجر رمزي (زهيد) في أرياف غنية بالأحواض المائية وتعاني من شح المياه مقابل أجرة الجيوفيزيائيين المرتفعة عندما يتولون تحديد مواقع آبار الماء. ورغم التطور التكنولوجي(التقاني) الكبير الذي يعرفه المجال الفلاحي اليوم، لا تزال فئات واسعة من ملاكي الأراضي الفلاحية في ريف سيدي بوزيد تحرص على الاستفادة من خدمات المنقب التقليدي، للبحث عن المياه الجوفية الضرورية لتحقيق التنمية المحلية بإنجاز مشاريع فلاحية صغيرة وكبيرة.

"يعتمد التراث الثقافي اللامادّي على هؤلاء الذين تنتقل معارفهم
في مجال التقاليد والعادات والمهارات من جيل إلى جيل".

المستنبئ: الحاج نصر بدري (85 سنة) أصيل منطقة المكارم، معتمدية سيدي بوزيد الشرقية، تعلم هذه الحرفة من خلال ملاحظاته لمدة طويلة لممارسات مستنبئين سابقين له كانوا يتمتعون بخبرات كبيرة في مجال التنقيب عن منابع المياه الجوفية. وفي هذا المجال يمكننا تفسير المراحل الأساسية المتعلقة بالبحث عن منابع المياه وأهم التقنيات التي يعتمدها الحاج نصر في مهنته والنتائج المتوصل إليها انطلاقا من عمله الميداني.

1-مراحل البحث عن منابع المياه الجوفية:المنقب الحاج نصر بدري يعرض لنا أمثلة دقيقة تتعلق بكيفية البحث عن منابع المياه باستخدام أدوات متنوعة مثل: غصن الزيتون والبيضة والقارورة، وقد تمثل دورنا في هذه الحالة ملاحظة كل خطوات المنقب في البحث عن منابع المياه (الملاحظة بالمشاركة، ودون مشاركة) إذ أنّ ملاحظة الظواهر-بالمشاركة أو دون مشاركة-تمثل جوهر المنهج العلمي إذ يمكن بفضل المشاهدات التوصل إلى بعض الحقائق الجزئية التي تؤدي بدورها إلى إطلاق "التعميمات". يقول في هذا السياق

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

"هنري بوانكريه H.Poin caré " حين يوجّه إلى سائر العلماء هذا النداء «لاحظ ثم لاحظ جيدا Regarder et regarder bien»[15]. أما "مارسال موس Marcel Mauss" فيرى «أنّ مبدأ أو غاية علم الاجتماع هو رؤية المجموعة بشكل كامل وممارستها بصورة شاملة»[16]. ولذلك فإنّ الدراسة العلمية للمجتمع تستدعي ملاحظة ما هو كائن بالفعل أو ما هو قائم هنا والآن، إضافة إلى أهمية فهم الواقع الاجتماعي وراء الكلمات التي تحجبه.

بعد اختيار العود (غصن الزيتون) المناسب للعمل يشرع هذا الشيخ في تحديد موضع منبع الماء.

التركيز في عملية مسك االعود تفاعل الجسد مع بداية تحرك العود واهتزازه (منبع الماء موجود في هذا المكان).

تأكد المنقب بوجود الماء بـ (100%) نظرا لقوة اهتزاز غصن الزيتون (الماء متوفر وبغزارة كبيرة).

تأمل المنقب في الموقع المتوقع بوجود الماء به، مستخدما في هذه الحالة قارورة الماء.

نرى في البداية كيف هي وضعية القارورة في يد المستنبيء (وهي واقفة في يده ويبدأ المنقب في المشي ببطء في مكان الدراسة.

تغير حالة القارورة من "واقفة" إلى "مبطوحة" في يد المنقب. الماء إذن موجود في هذا المكان.

[15] Poincaré Henri, Science et méthode, Flammarion, Paris 1927p 9.

[16] Marcel Mauss ; Sociologie et anthropologie, Paris, PUF, 1989, p 274.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

تزداد قارورة الماء في الانحناء بشكل حاد يعني ذلك أنّ الماء متوفر بغزارة في هذا الموضع.

نتأمل في هذه الصورة:
وضعية البيضة في يد المستنبيء (مبطوحة) قبل الانطلاق في البحث عن منبع الماء.

كلما اقترب المنقب من مكان جريان المياه، "تقف" البيضة في يد المنقب بشكل غريب بعدما كانت "مبطوحة".

تمثل هذه الأساليب (غصن الزيتون والبيضة وقارورة الماء) بالنسبة إلى "الحاج نصر بدري" (المنقب)الأساس في عمله. وتقديم هذه الخدمات عبارة عن أعمال تطوعية (مجانية) يقوم بها المنقب وتسند له في هذه الحالة مكافأة مالية بسيطة وهدايا رمزية مقابل عمله.
وما يمكن استنتاجه من هذه الممارسات الشعبية للمستنبيء "الحاج نصر بدري" أنّه تمكن من خلال اعتماده للتقنيات التقليدية(الشعبية) من كشف أكثر من 200 منبعا للمياه منذ انطلاقه في ممارسة هذا النشاط ما بين 1996-2024 وهي آبار تشتغل في الفترة الحالية بطريقة ممتازة.
وفسّر لنا ذلك بأنّ الطرق التي يعتمدها في التنقيب عن منابع المياه تصل نسبة نجاحها إلى حدود (95%).
وما لاحظناه في ممارسات هذا المنقب أنّه يأخذ أحد التقنيات التقليدية المعتمدة مثل غصن الزيتون ويمشي به في مكان طالب الخدمة الغصن في البداية يكون ساكن وعندما يصل إلى منبع الماء (وديان الماء) يتحرك (الماء موجود دون أدنى شك) ويبدأ المنقب يعد كل حركة للغصن والحركة الواحدة عبارة متر عمق في الأرض وعندما يصل إلى الماء يقول لك إنّ الماء موجود عن بعد 40 مترا من سطح الأرض لكنّ الماء المتوصل إليه مالح نتيجة انحناء الغصن إلى الأسفل فيواصل في البحث عن الماء الحلو في نفس المكان بتحريك رجليه (ضرب الأرض) وبتحريك يديه أي باستخدام جسده عندما يتوقف العود عن الحركة.
وفي هذه الحالة يستمر المنقب في العد حتى بلوغه الماء الحلو عندما يرتفع الغصن إلى الأعلى فإنّ الماء الحلو يوجد عن بعد 85 مترا من سطح الأرض. وفي هذه الوضعية يتم تحديد موقع الماء بدقة من قبل المنقب في حدود 2م^2 وضبط جريان الوديان من الجهات الأربعة ومن ثم يشرع صاحب الأرض في حفر البئر بحضور المنقب. ونشير في هذا السياق أنّ اهتزاز العود يبرز طبيعة الصخور في باطن الأرض وبالتالي الكشف عن وجود الطبقات المائية. وأنّ أبرز ادوات التنقيب "غصن الزيتون" بشكل "**Y**" يتم الإمساك به من الطرفين، ويتجه الرأس إلى أسفل إذا سار المنقب فوق خزان ماء باطني.
وبالنسبة لهذا المستنبيء فإنّ نسبة الأخطاء في تحديد مواقع المياه دائما ما تكون قليلة جدا وسببها يرتبط بعدم تقيد أصحاب الأرض بالنقاط المحددة وعمق حفرها.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وعندما سألناه عن سر نجاحه في مهنته أجابنا بقوله " إنّها موهبة من جهة، وإيماني العميق بهذه الثقافة الأصلية المتوارثة عبر الأجيال من جهة أخرى ".

وأضاف قائلا "عندما أعجبت بهذه الممارسات لدى الآخرين قلت في قرارة نفسي لماذا لا أستعين بهذه التقنيات في البحث عن مخابئ المياه في الفضاءات الريفية" وقد تبين لنا أنّه لا يستخدم السحر أو الشعوذة فقط يقول "بسم الله عليك توكّلت " عند بداية البحث عن منبع المياه. ووضح لنا أنّه أثناء عملية تحديد موقع المياه يطرأ على جسمه الشعور بقوة مغناطسية فالأرض تتفاعل مع جسمه ودمه عند بدء ارتفاع غصن الزيتون يتصلب جسده تدريجيا ولا يمكن أن يخترقه أي شيء. وهذا العمل لا يمكن لأي شخص القيام به فهو يحتاج بنية جسدية معينة.

وعند بلوغ الماء الجوفي تتحرك الأداة المحمولة بيده وتسمّى هذه الطّريقة علميّا باسم "الاستنباء المائيّ" أو "الاستطلاع" وهي الكشف عمّا يوجد من مياه تحت الأرض بواسطة عود طبيعي أو معدني يتضمن شكل "Y" يصل طوله إلى متر واحد أو أقلّ أو أكثر من ذلكَ بقليل.

وفي حال اكتشاف النّبع، أو المياه الجوفيّة ترسل إشارات مغناطيّسيّة إلى عضلات المنقب عن المياه، ما يؤدّي إلى اهتزاز الطريقة المستخدمة في يده، وبالتّالي تتحرّك مشيرة إلى مصدر المياه.

ولنجاح هذه العمليّة أهمية معرفة المنقب بتضاريس منطقته، وطبقات الأرض، إضافة إلى وجود الاستعداد المغناطيسيّ في دماغه. وبذلك فإنّ مهنة المستنبئ ليست مفتوحة أمام الجميع، بل لدى فئة معينة تمتلك القدرة على قراءة ذلك "الاستشعار"، وفك شفرة العلاقة الغامضة بين الماء والتراب والفرد. وقد سبق لعالم الأركيولوجيا البريطاني "توماس تشارلز ليثبريدغ Thomas Charles Lethbridge" أن شرح أنّ لدى الأجسام والكائنات الحية قدرة على إرسال "أشعة طاقية" بالإمكان استقبالها بأدوات مثل غصن الشجرة أو غيرها. ورغم وجود بعض المتناقضات لدى البعض حول استخدام هذه الطرق التقليدية في البحث عن منابع المياه الجوفية، فالحقائق تشير إلى أنّ آلافا من أبار الماء في العالم التي تم حفرها ارتكزت على هذه الأدوات الشعبية وخاصة في مجتمعاتنا العربية. وقد ذكر "إيمانيال تود Emmanuel Todd" «بأنّ الاحصاءات الأمريكية بيّنت بوجود أكثر من 181 مستنبئا لكل مليون نسمة يمارسون أعمالهم في أمريكا وخاصة في المناطق الفقيرة من الماء»[17]. وقدمت بعض الصحف الأمريكية روايات عن المستنبئين وأعمالهم، مثل مجلة" نيوسينتست New Scuentist" التي رأت بأنّ الاستنباء علم وليس سحر " Dowsing is science not magic". وهذا ما تجلى لنا في العمل الميداني فبعدما قمنا برصد هذه الممارسات التقليدية حول البحث أوالتنقيب عن المياه الجوفية، تبين أنّ هذه الطرق التي يطلق عليها اسم الاستنباء (dowsing) أو العرافه (Divining) تتسم بالصحة وبالصدقية، فهي أنشطة ليس لها علاقة بالسحر ولا بالشعوذة ولا بالاستغلال بل ترتبط بجسد االمستنبئ وبهاراته البحثية وبحركاته وبمدى تناغم جسده (دمه) مع أدوات التنقيب وطبقات المياه الجوفية العميقة. وإذا أشار المنقب إلى مالك الأرض بأنّ الماء يوجد على عمق 70 وبالفعل عند قيام المالك بعملية الحفر يعثر على وجود الماء في النقطة التي تم تحديدها من قبل المنقب وعلى العمق الذي ذكره له.

[17] Emmanuel Todd , GroundwaSer Hydrology, 2ed edition, John Wiiey & Sons,1980.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

وقد بين لنا بعض الأفراد الذين استفادوا من خدمات هذا المنقب الذي اتسم عمله بمهارات عالية، أنّه كلما حدد لهم أمكنة حفر الآبار باستخدام غصن الزيتون، يحفرون ويجدون الماء على مسافة معينة، وإن تعمقوا أكثر في الحفر يقوى تدفق المياه لوجود مصادر أخرى، وبذلك فقوة تدفق المياه ستكون أكبر. وقد أكد لنا هؤلاء الأفراد أنّ كل توقعات هذا المستنبىء كانت صحيحة (100%)، إذ توجد المياه حسب المسافات التي حددها المنقب. وهذا ما لمسناه في تصورات سكّان الوسط الريفي ومواقفهم فأغلبهم أصبحوا يفضلون البحث عن منابع المياه بالأساليب التقليدية بدلا من الاستعانة بالآلات الالكترونية في عملية التنقيب عن مخابئ المياه. وعند استكشاف منبع الماء يفرح الأهالي به كثيرا (الزغاريد الذبح) خاصة يوم الحفر وتقدم للمنقب هدايا إضافية.

2-ارتباط حفر الآبار بنتائج الاستطلاع المائي: في ظل ندرة الموارد المائية في الوسط الريفي فإنّ البحث عن مصدر مائي ضروري للبقاء على قيد الحياة ويميز السلوك لدى كل جماعة بشرية، ويؤثر في خياراتها. ويعتبر الماء من أكثر الموارد الحيوية التي يحتاج لها الانسان. وعند حصوله على الماء والغذاء يمكنه التفرغ لممارسة نشاطات أخرى. وفي المجتمعات التقليدية التي تعيش في المناطق الريفية، فالبحث عن المياه والتزود بها هو الشغل الشاغل لها.

وبذلك يشكل البحث عن الماء عنصرا مركزيا في حياة سكان الوسط الريفي. وهكذا فإنّ استراتيجيات الحصول على الماء ومستوى التقنيات المائية لها تأثير كبير على نمط الحياة والتعمير. وهناك عوامل عديدة تدخل في الحسبان في هذا المجال، وتأتي البيئة بالتأكيد على رأس هذه العوامل، وهي تتميز بالمناخ وبالمعطيات الجيولوجية والجغرافية ونوعية التربة. فكل وسط طبيعي يقدم إمكانية مختلفة عن غيره للحصول على الماء، وبذلك فإنّ كل وسط طبيعي يتطلب تقنيات واستراتيجيات مختلفة عن الأوساط الأخرى. وقد قدم الانسان الإجابات على هذه التساؤلات بحسب معارفه وتاريخه وثقافته، وهي ترتبط أيضا باحتياجاته التي هي في ازدياد مستمر تستدعي كميات كبيرة من المياه.

بعد تحديد موقع منبع المياه من قبل المنقب تبدأ عملية حفر البئر.

تجري عملية حفر البئر حسب خطة تم الاتفاق عليها مسبقا بين صاحب الأرض والمنقب حول مدى عمق الماء.

استعمال هذا الأنبوب البلاستيكي قصد معرفة كميات المياه ومدى غزارتها.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

قياس كميات تدفق المياه باستخدام هذه الطريقة.

بعد عملية الحفر نري كيف ينفجر الماء فوق سطح الأرض ومدى قوته.

قياس غزارة الماء وقوته من قبل الحفار.

بئرحديث تم حفره بعدما حدّد موقعه المنقب.

جابية تخزين المياه تابعة للبئر.

تشغيل البئر بالطاقة الشمسية. أرض تعد للفلح بعدما تم حفر البئر بها.

أرض فلاحية تم حفر بئر بها وبدأ صاحبها في خدمتها قصد فلحها بغراسات متنوعة وخاصة بشجر الزيتون واللوز.

غراسة شجر الزيتون والتخلي عن بعض الزراعات الأخرى مثل الفلفل،الطماطم، الحبوب...الخ.

التركيز على الغراسات مثل شجر الخوخ والتفاح والعنب.

IV- الاستنتاجات والاقتراحات :

أ-على مستوى الاستنتاجات:

- أهمية احياء التراث الثقافي وتطويعه ليصبح في متناول الجيل الجديد، نظرا لإسهاماته الكبيرة في تحقيق أهداف التنمية المحلية والثقافية في المجتمعات الريفية وبالتالي المحافظة على إبقاء القيم الروحية والاجتماعية الرابطة بين أفراد المجتمع المحلي.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

-تجديد التصورات الأدبية والعلمية عن الثقافات الشعبية، والغوص في دراسة الثقافة الأصلية ومعارفها لكونها عملية استثمار في التنمية البشرية لارتباطها بالفرد.

-يرتبط تقدم المجتمعات المحلية وازدهارها بمدى تمسكها بالتراث اللامادي وتتحقق التنمية عادة وفق ثقافات المجتمعات.

- إدراك الصلة بين الثقافة والتنمية، والأهمية الحاسمة للتراث الثقافي غير المادي، مثل الممارسات الثقافية الحية، وأشكال التعبير الثقافي ونظم المعرفة التي تعطي مغزى للمجتمعات المحلية ودرجات تشكلها.

فاستقراء هذا التراث الفكري والبحث فيما يزخر به من معان ودلالات في زمن يتسم بالتحولات الجذرية والحاسمة في المجال الثقافي أو ما ندعوه اليوم "بالعولمة الثقافية". وضرورة ابراز المساهمات الفعلية لهذه الممارسات التقليدية لدى الأفراد على التنمية المحلية. فالتمسك بهذا الإرث الثقافي المتميز في تاريخنا المعاصر وتطويره شيئا فشيئا، يمكن أن يمثل لنا ركيزة قوية في ظل هذه الهيمنة الثقافية الغربية على الثقافات الأخرى وكان "بورديو Pierre Bourdieu"على حق عندما حدّد العولمة «بكونها امبريالية ثقافية جديدة»[18] عندما حاول استكشاف حيلها وفهم المنطق الخفي الذي يختبئ وراء هذه الإمبريالية الجديدة.

في وقت لاتزال الدول الكبرى تسعى في الظرفية الراهنة بمختلف آلياتها في نشر ثقافة الهيمنة على حساب ثقافة المجتمعات "المنعوتة بالتخلف"، بحكم أنّها لا تساعد بشكل أو بآخر على التقدم والازدهار، وبذلك يجب التخلص منها وطمسها واستبدالها بقوالب ثقافية غربية، تمكنها من التحرك والرقي، وذلك بإحداث قطيعة بين ثقافتنا المحلية والثقافة المستوردة، وحتى الجمع بينهما يعتبر في نظر البعض من الغربيين أمرا مستحيلا وغير ممكن، والغاية من ذلك ترك أفراد هذه المجتمعات بلا تاريخ وبلا هويات.

وبذلك سلبهم وتجريدهم من كل المقومات والثوابت الوطنية التي يمكن أن تكون لهم دافعا قويا للصمود أمام الآخر بالعمل الجدي، فهو القوة الأساسية الكامنة وراء عمليات التحديث والتنمية.

بـ-على مستوى المقترحات:

- ضرورة تطوير المخزون الثقافي لدى المجتمعات المحلية وتعديله حسب مقتضيات كل مرحلة زمنية.
- إن كانت المعرفة مرادفا للقوة، فإنّ المجتمعات المحلية التي تمتلك قدرا أوسع من المعطيات عن ماضيها قد تبدي استعدادا أوسع للمشاركة بفعالية أكبر في مناقشات حول تطوير مناطقها، أو الدفاع عن المعالم التي تكتسي أهمية بالنسبة إليها.
- تكثيف إجراء دراسات الجمع والتنقيب والتوثيق والتصنيف والأرشفة والترويج لعناصر التراث الثقافي اللامادّي ونشر الوعي به والانتقال من الصورة المقتصرة على الجوانب المادية الملموسة كالقطع الفنية والحرف والصناعات اليدوية، إلى التركيز على جمع التراث الحي المتمثل بالتعابير وفنون الأداء والعادات والتقاليد والمعتقدات والمعارف الشعبية الأخرى.

- تعدّ السياحة على الصعيد البيئي عاملا مهما لإشباع رغبات السّائحين من خلال زيارة المواقع الطبيعية والتعرف إلى تضاريسها ومواردها البيئية والحياة الفطرية فيها، إضافة إلى التعرف إلى البيئة الاجتماعية والثقافية، فضلا عن ذلك فقد تسهم الإيرادات

[18] Pierre Bourdieu et L. Wacquant, sur les ruses de la raison impérialiste , Actes de la recherche en sciences sociales1998, N221-122, mars, pp109-118.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

السياحية في سدّ تكلفة الحفاظ على السّمات الطبيعية والموارد التاريخية والأثرية لهذه المواقع خاصة بالنسبة إلى المناطق التي لا تمتلك الإمكانات المادية الكافية لتنفيذ برامج صون الطبيعة والحماية والحفاظ على التراث الأثري والتاريخي بها.

- ينبغي أن تقوم المؤسسات الرسمية (الحكومية) وغير الرسمية (مؤسسات المجتمع المدني) بأدوار تتعلق في بث التراث ويعدّ انخراط الشباب في عمليات حفظ التراث الثقافي غير المادي وبعثه، أمرا جوهريا يتطلب من هياكل الدولة دعمه وتشجيعه، عبر إقامة الحوارات العامة حول المفاهيم الاجتماعية والتربوية والثقافية للتراث.

- تطوير برامج خاصة ترمي إلى التوعية حول التراث الثقافي غير المادي وتحديدا في أوساط الشباب، وتوليد حس الفخر لديهم بتراثهم من خلال ابراز الأبعاد الاقتصادية لحفظ التراث الثقافي اللامادي.

- تشجيع الوسائل والطرق الرسمية وغير الرسمية لنقل التراث الثقافي غير المادي. وقد تؤدي التربية دورا فاعلا في ذلك وبأبعاد مختلفة، وذلك بمحاولة دمجه في العملية التربوية والتعليمية، فيساعد على نشأة جيل من الشباب الواعي بتراثه، وينعكس ذلك على وجوده الذي سيؤدي بأفراده إلى نيل حظوة ومكانة في المجتمع.

الخاتمة:

بناء على ما تقدم في هذا البحث الموسوم بـ" دور الأساليب التقليدية في تنمية المجال الريفي: زمن التطورات الالكترونية: دراسة سوسيولوجية لريف سيدي بوزيد"، حاولنا في مضمونه، ضرورة إثبات الذات اليوم والاعتزاز بها أمام الآخر ولا يمكننا في هذه المرحلة الحرجة نسبيا من تاريخنا الحديث أن نشعر بالعجز أو الوهن أمام هذه التحديات من جهة، وتفوق الآخر علينا في عديد المجالات من جهة أخرى. أو أن نعتقد أنّ الغرب هو دائما مصدر المعرفة الكونية، وأنّ الثقافة الغربية هي ثقافة الرقي والازدهار والتقدم، وبذلك تساهم في تغيير كل المجتمعات نحو الأفضل في ظل في نظر الآخر وما يروجه في هذا العصر بأنّ الثقافة العربية تتسم بالجمود، وبالتالي بالتخلف وعدم قدرتها في الوضع الراهن على مواكبة التحولات الاجتماعية التي تحدث بها.

وما يلفت الانتباه اليوم أنّه يوجد انسياق عامّ دون وعي وراء النمط الثقافي الغربي وعدم الإدراك لما سوف يؤدي بنا إلى الانبتات، فسياق العولمة يسعى من خلال محاولاتها الظاهرة والخفية إلى الحكم على الثقافة العربية بالتهميش، إن لم توجد محاولات جادة من قبلنا تتسم بالتجديد والابتكار وعدم تبني الثقافة الغالبة بجهل وتقليدها تقليدا أعمى.

وبذلك ما يمكن تأكيده في هذا السياق، إنّ الاهتمام بالتراث أمر تفرضه الضرورة التاريخية إذ يجب علينا أن نحافظ عليه ونقوم بتطويره عن طريق قراءته وتحليل مكوناته ورصد طاقته الخلاقة من أجل الحفاظ عليه (المواقع والمعالم الأثرية) وحمايته. من أجل الإبقاء على التراث اللامادّي حيا، ويشترط أن يظل جزءا لا يتجزأ من ثقافة المجتمعات الريفية، وأن يمارس ويدرس في المؤسسات التربوية قصد تطويره والحفاظ عليه وإدماجه في صميم سياسات التنمية والتوعية بأهميته وتحفيز الدعم للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية.

وعليه فقد تبين من خلال هذه الدراسة أنّه توجد عديد المسائل السوسيولوجية والأنتروبولوجية في أرياف تونس لاتزال في حاجة أكيدة إلى مزيد من التأمل والبحث مثل العادات والتقاليد، وطرائق الاستنباء المائي بالطرق الشعبية والانكباب في دراستها بعمق وتبصر على غرار هذا البحث المختصر، نظرا لدورها في تنمية المجتمعات الريفية وتطويرها شيئا فشيئا.

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved

البيبليوغرافيا

أ-باللغة العربية:

- حمد على مرسي، في صون التراث الثقافي غير المادي، المطابع الأميرية،2013 .
- حافظ ستهم (1987)، الريف و التنمية، دراسة في تهيئة المجال الريفي، المعهد الأعلى للتربية و التكوين المستمر، تونس.
- محمد غيث(1993)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية.
- أحمد غريب محمد سيد أحمد (1984)، علم الاجتماع الريفي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية.
- الأخضر نصيري(2005)، حورا الثقافات مسالة حاسمة في مجتمعاتنا الحديثة،مجلة الحياة الثقافية،العدد166 السنة30 جوان.
- عبد الوهاب بوحديبة(1991) ، العنصر الثقافي في التنمية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، تونس .
- الشاذلي طريفة(1993)،الهجرة والتحضر في تونس، الظاهرة الحضرية و التنمية في تونس، دار سيراس للنشر، المعهد الأعلى للتربية و التكوين المستمر، تونس.
- ابراهيم بيومي مرعى و ملاك أحمد الرشدي و محمد عبد المنعم توفيق(1983)، تنمية المجتمعات الريفية و جهود الخدمة الاجتماعية، الناشر، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية.
- نعيمة مكيد و(غيرها)، أهمية حماية التراث الثقافي اللامادي في تحقيق التنمية المستدامة مجلة القانون والعلوم البينية - المجلد 2، العدد2، الجزائر 2023.

ب: باللغة الأجنبية

- Abdelwaheb Bouhdiba (1990), Refaire la famille, Cahier du CERES, Série Psychologie n°7 décembre Tunis .
- Ralph Linton(1965), Le fondement culturel, Paris, DUNOD de la personnalité.
- Halb Wachs Maurice, (1950), Mémoire collective et mémoire historique, paris PUF.
- Poincaré Henri(1927), Science et méthode, Flammarion, Paris.
- Marcel Mauss (1989), Sociologie et anthropologie, Paris, PUF.
- Emmanuel Todd, (1980), GroundwaSer Hydrology, 2ed edition, John Wiiey & Sons.
- Pierre Bourdieu et L. Wacquant(1998), « sur les ruses de la raison impérialiste », Actes de la recherche en sciences sociales, N221-122, mars.

ت: مواقع الواب:

- التنقيب عن الماء، ويكبيديا الموسوعة الحرة
- مشوار،https://www.facebook.com› mishwarpal› posts
- الماء والاستنباء، مجلة نزوى،https://www.nizwa. om_
- منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو).

- © 2023 SSJ. All Rights Reserved